الكتابات التذكارية بقبر يوهن بركهرت بجبانة باب النصر بالقاهرة

ثروت فتحى الأزهرى عبد الصمد

أهمية ودوافع أختيار الموضوع:-

1- يعتبر هذا الموضوع من الموضوعات التي لم يسبق دراستها دراسة أكاديمية على مستوى كليات وأقسام الآثار والإرشاد السياحي بالجامعات المصرية وفى هذا ما يضفى على هذه الدراسة أهمية خاصة في حقل الدراسات الأثرية.

2- توضيح البعد التاريخي والأثري لتطور بناء المدافن والجبانات في كل عصر من العصور الإسلامية وتأصيل ظاهرة إنشاء المدافن على القبور وعناصرها المعمارية وبخاصة وأن ظاهرة بناء المدافن على القبور كانت في إطار تأثيرات معمارية مشرقية تركية في المقام الأول.

3- إلقاء الضوء على جبانات حكام مصر الإسلامية وبخاصة النماذج المعمارية الرائعة من شأنه إفساح المجال أمام توظيف هذه الجبانات توظيفاً يخدم حركة السياحة الثقافية إلى مصر من منظور يكمل الرؤية الأثرية والسياحية لمدافن وجبانات حكام مصر في العصور الإسلامية.

4- الأهمية التاريخية والأثرية لهذه المنطقة التي تضم جبانة باب النصر في الوقت الذي لا يعرف الكثيرون عنها شيئاً.

5- ارتباط هذه الجبانة ومنطقتها بكثير من العادات والتقاليد المصرية فضلاً عن ارتباطها بالطرق الصوفية التي شكلت جزءاً مهماً في الوجدان المصري.

6- إلقاء الضوء على أهمية الجبانات الإسلامية في تراث وثقافة الشعب المصري واهتمام الحكام المسلمون بأمرها في العصور الإسلامية المتعاقبة .

7- إلقاء الضوء على كثير من الشخصيات الدينية ورجال الطرق الصوفية التي كان لها دورها البارز في المجتمع المصري في عصورهم من خلال النقوش والكتابات الأثرية الواردة بالمقابر الموجودة في هذه الجبانة موضوع الدراسة وما تشتمل علية من ألقاب ووظائف وأنساب وأشعار .

جبانة باب النصر

بعد الفتح الفاطمى لمصر (567-358هـ/969-1171م) اتخذ الخلفاء الفاطميين مكاناً للدفن عرف بتربة الزعفران ومكانها اليوم خان الخليلى ، ولما اختطت الحارات خارج باب زويلة قبر الناس موتاهم فى المنطقة التى يشغلها اليوم جامع الصالح طلائع وشارع الدرب الأحمر وشارع التبانة وشارع باب الوزير والشوارع المتفرعة منها والتى تعرف بقرافة باب الوزير ، أما المقابر التى هى الآن خارج باب النصر إنما حدثت بعد سنة 480هـ/1087م وأول تربة بنيت هناك تربة أمير الجيوش بدر الجمالى لما مات ودفن فيها وكان خطها يعرف برأس الطابية ، ثم تتابع الناس دفن موتاهم حتى صارت جبانة باب النصر من جملة المزارات المقصودة بالدعاء فيها ،ولم يكن في الصحراء تربة مثلها بما جُمع فيها من العلماء والمحدثين والأولياء ومشايخ الإسلام والمؤرخين ، وجبانة باب النصر يحدها من الشرق جبل المقطم ومنشأة ناصر ومن الشمال ميدان الجيش ومن الغرب باب الشعرية والحسينية ومن الجنوب الجمالية وشارع المعز الفاطمي وباب النصر ، وقد أُطلق على جبانة باب النصر مجموعة من الأسماء المختلفة منها : مقابر الصوفية ، تربة الصوفية ، قرافة باب النصر، تربة صوفية خانقاه سعيد السعداء ، حوش الصوفية وتربة الخانقاة الصلاحية ، وكان يُطلق عليها فى عهد المقريزى صحراء الإهليلج نسبة إلى شجرة الإهليلج الهندى الذى كان يوجد فيها [1].

يوهن لودفيك بركهرت (إبراهيم المهدي)
(1199-1232هـ/1784- 1817م)

اسمه ونسبه :

هو المستشرق السويسري الرحالة يوهن لودفيك بركهرت، ويسميه الإنجليز باسم جون لويس بركهرت ، أسلم وصدر له الإشهاد الرسمي بالإسلام من محكمة مصر الشرعية وسمى نفسه الشيخ حاج إبراهيم المهدي بن عبد الله بركهرت اللوزانى[2]

مولده ونشأته:

ولد لويس بركهرت سنة 1199 هـ/ 24 نوفمبر 1784 م ، في مدينة لوزان بسويسرا ، وأمضى طفولته في مدينة بازل ، وعندما أتم دراسته الأولية ، ألتحق بمدرسة (لوف هوتيل) الثانوية ، سافر ليدرس القانون والفلسفة والتاريخ في مدينتي لايبزج وجوتيجن بألمانيا ، وقضى هناك خمس سنوات بين عامي 1800-1805 م/ 1215-1220هـ ، عاد بركهرت وهو في الحادية والعشرين من عمره إلى بازل ، لكنه لم يجد عملاً بسهولة ، فسافر إلى لندن بحثاً عن فرصة عمل ، وبعد عامين من المعاناة حصل الشاب على وظيفة له في لندن ، وقد لعبت المصادفة دوراً كبيراً في تغيير مسار حياته ، حيث التقى بركهرت بالسير جوزيف بانكس رئيس الجمعية الأفريقية (جمعية تشجيع اكتشاف المناطق الداخلية من أفريقيا) التي تأسست عام 1788م/1203هـ في لندن ، حيث قامت الجمعية الإفريقية بإرسال بركهرت إلى جامعة كمبردج لتعلم اللغة العربية ودراسة الكيمياء والفلك والطب[3].

وفى شهر فبراير 1809 م/1224هـ بدأ بركهرت الرحلة إلى الشرق ولم يكن قد بلغ عامه الخامس والعشرين، أبحر متجهاً إلى مالطة ، ومنها إلى حلب السورية التي وصلها في

شهر يوليو من العام المذكور ، وقضى هناك ثلاث سنوات لمزيد من تعلم اللغة العربية والتعرف على الثقافة المحلية في المشرق العربي ، وأثناء إقامته في حلب أطلق بركهرت لحيته وأرتدي الملابس العربية ، ثم أعلن اعتناقه الإسلام وسمى نفسه الشيخ إبراهيم بن عبد الله المهدي ، وخلال إقامته بحلب قام بركهرت بالترحال في المناطق المحيطة بها ، فتجول بين عدد من المدن السورية ، كما توجه إلى شمال العراق ، وزار المناطق الأثرية في تدمر بسوريا وبعلبك بلبنان ، وكان أول أوروبي يشهد آثار البتراء[4].

وفى سبتمبر 1812 م /1227هـ وصل بركهرت إلى القاهرة لينتقل منها إلى قلب إفريقيا مع قافلة فزان ، ولكن تأخر موعد القافلة ، حيث غادر القاهرة في خريف 1812 م/1227هـ إلى مدينة إسنا بصعيد مصر ومنها توجه إلى بلاد النوبة جنوباً ، وسجل ملاحظاته حول عادات أهل النوبة وشمال شرق السودان ، وعن عادات البدو في المناطق الصحراوية ، كما شاهد آثار جنوب مصر وبلاد النوبة ، ودون مشاهدته للأجزاء الظاهرة من أحد معبدي أبو سمبل المطمور تحت الرمال وكان ذلك قبل اكتشاف بلزونى الإيطالي للمعبد ، وفى صيف 1814 م /1229هـ عبر بركهرت البحر الأحمر من سواكن إلى جده ومنها إلى مكة والمدينة حيث مكث هناك ثلاثة أشهر أدى خلالها فريضة الحج ، واقتنى بركهرت خلال رحلته بالشرق عشرات المخطوطات النادرة ، وترك عدداً من المؤلفات منها ترجمة لروبنسون كروز إلى العربية ، رحلات في بلاد النوبة والسودان طبعة لندن 1819 م/1235هـ وسنة 1822 م /1238هـ، رحلات في سوريا والأرض المقدسة سنة 1822 /1238هـ، رحلات في بلاد العرب 1245/1829هـ ، ملاحظات على البدو والوهابيين ، أمثال عربية طبعة لندن 1830 م/1246هـ[5] .

وفاته:

نظراً لمرض بركهرت عاد إلى القاهرة منتصف 1815 م /1231هـ، وقام برحلة سريعة إلى سيناء ثم عاد ليستقر بالقاهرة إلى أن مات بعد إصابته بتسمم غذائي في 1232هـ/ 15

أكتوبر 1817 م ، ودفن بجبانة باب النصر بالقاهرة[6] ، وكان ذلك فى فترة حكم محمد على باشا الكبيرالذى توفى(1265هـ/1849م).

الوصف المعماري والزخرفى لقبر الشيخ إبراهيم المهدي

أولاً :الوصف من الخارج (الواجهات) :

لهذا القبر واجهة واحدة وهى الجنوبية وتحتوى على المدخل الرئيسي للقبر وهو عبارة عن فتحة مستطيلة عرضها 90 سم وطولها 2.10م يغلق عليها باب خشبي حديث ذو مصراع واحد أبعاده 84سم × 2م .

وهذه الواجهة حرة ومصمتة لا تحتوى على أي زخارف باستثناء لوحة رخامية حديثه على يسار باب الدخول للقبر يبلغ طولها 34 سم وعرضها 30سم تحتوى على نقش كتابي باللغتين العربية والإنجليزية من خمسة أسطر تقرأ [7]:

1. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم
2. هنا يرقد الرحالة السويسري
3. الشيخ إبراهيم المهدي
4. ولد عام 1199هـ في لوزان
5. توفى عام 1232 هـ في القاهرة

اللغة الإنجليزية :

1. Here rests the Swiss Traveler
2. Shaykh Ibrahim
3. Johann Ludwig Burckhardt
4. Born 1784 A.D in Lausanne
5. Died 1817 A.D in Cairo

ثانياً :الوصف من الداخل :

القبر من الداخل عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل عرض 2.32 م وطول 3.50م وارتفاع 2.90 م ، وهذه الحجرة مغطاة بسقف من الخشب تأخذ شكل هرمي من

الداخل ، كما تحتوى الحجرة على عدد (2) شباك صغير في الجهة الشرقية طوله 82 سم وعرض 56 سم .

ويتوسط الحجرة تركيبة رخامية مستطيلة الشكل يبلغ طولها 1.52 م وعرضها 75 سم وارتفاع 82 سم ، زُخرفت جوانبها بنقوش كتابية تتضمن آيات قرآنية [8]:

1/1 :الجانب الجنوبي:

عبارة عن شريط كتابي بالخط الثلث الجلي باللون الأسود على أرضية بيضاء أبعاده 57سم × 14 سم ، ويقرأ : " بسم الله الرحمن الرحيم ".

2/1 : الجانب الغربي :

أبعاده 1.34م ×14سم ، ويقرأ : اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي "

3/1 : الجانب الشمالى :

أبعاده 57سم ×14 سم ويقرأ:" يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ"

4/1 : الجانب الشرقى :

أبعاده 1.34 × 14 سم ، ويقرأ" وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيم "[9].

ويعلو هذه التركيبة شاهدي قبر أحدهما بالجهة الشمالية والآخر بالجهة الجنوبية .

(1)- شاهد الجهة الجنوبية :

هو مستطيل الشكل من الرخام الأبيض أبعاده 1.28 م × 30سم ، علية نقش كتابي بالخط الثلث الجلي البارز باللون الأسود على خلفية بيضاء يتكون من ثمانية أسطر ينتهي بأعلى بالعمامة وهى لتمييز الرجال عن النساء ، ويقرأ :

1. هو الباقي
2. هذا قبر المرحوم إلى رحمة
3. الله تعالى الشيخ حاج
4. إبراهيم المهدي ابن عبد
5. الله بركهرت اللوزانى
6. تاريخ ولادته 10 محرم سنة 1199
7. من الهجرة وتاريخ وفاته إلى
8. رحمة الله بمصر المحروسة في 16 ذي الحجة سنة 1232 هـ(سنة 1288)

(2)-شاهد الجهة الشمالية :

هو مستطيل الشكل من الرخام الأبيض أبعاده طول 1.7م وعرض 26سم ، علية زخارف نباتية بارزة .

وجدران الحجرة مزينه بمجموعة من الصور الخاصة بالشيخ إبراهيم المهدي ، وبعض اللوحات الخطية لآيات قرآنية ومجموعة من السبح الكبيرة ، بالإضافة إلى مجموعة من سجاجيد الصلاة .

لوحة رقم (1): مصر – القاهرة – جبانة باب النصر – قبر إبراهيم المهدي (لويس بركهارت) – مدخل القبر الرئيسي .(1199-1232هـ/1784-1817م)

(تصوير الباحث – تنشر لأول مرة)

لوحة رقم (2): مصر – القاهرة – جبانة باب النصر – قبر إبراهيم المهدي (لويس بركهارت) – شاهد القبر يحتوى على السيرة الذاتية وتاريخ ميلاده ووفاته بالخط الثلث

(1199-1232هـ/1784-1817م) (تصوير الباحث – تنشر لأول مرة)

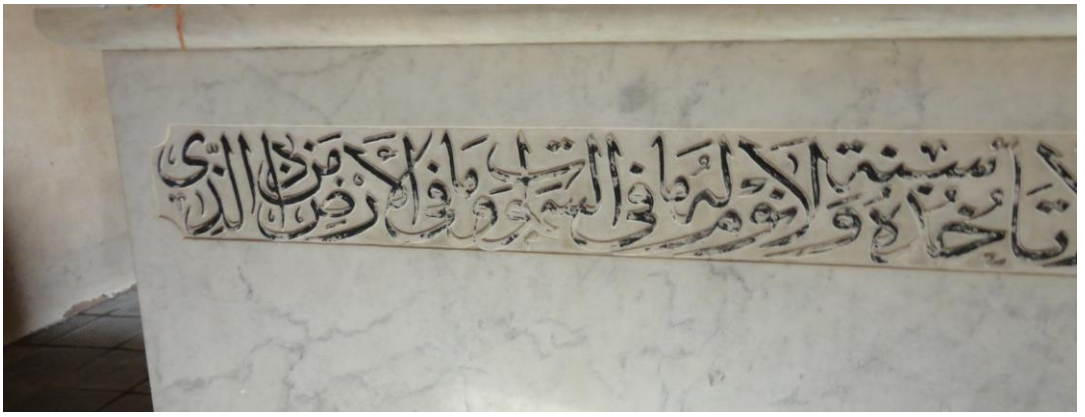

لوحة رقم (3): مصر – القاهرة – جبانة باب النصر – قبر إبراهيم المهدي (لويس بركهارت) – لقطات مجمعة للكتابات على جوانب القبر

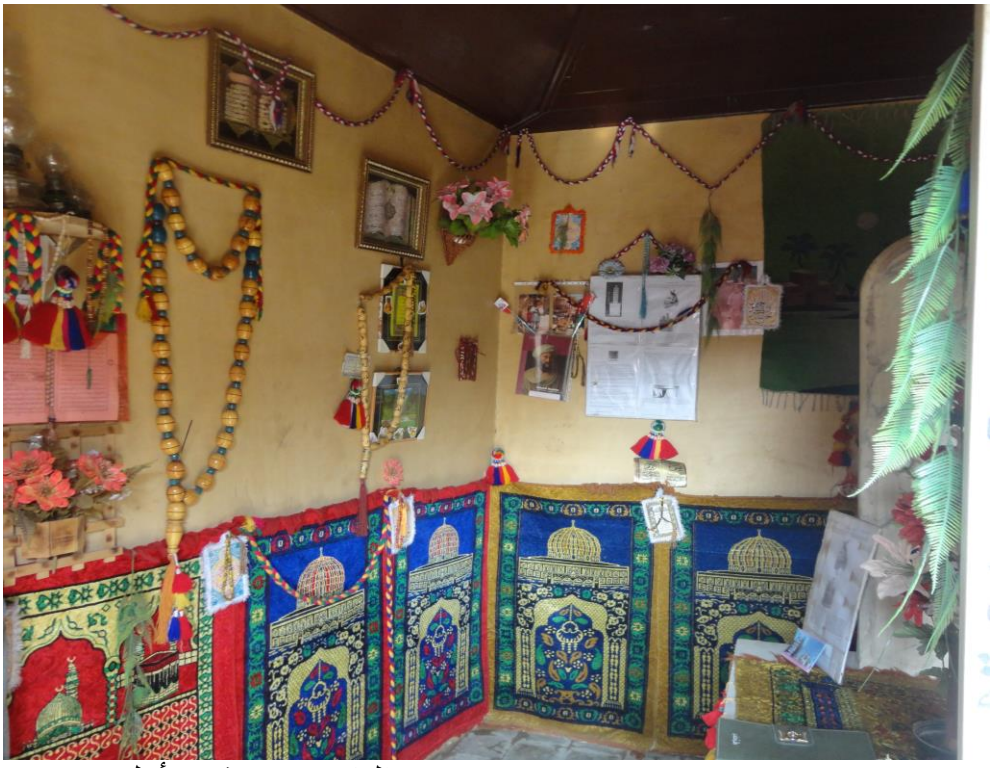

(1199-1232هـ/1784-1817م) (تصوير الباحث – تنشر لأول مرة)

لوحة رقم (4): مصر – القاهرة – جبانة باب النصر – قبر إبراهيم المهدي (لويس بركهارت)- لقطات من داخل القبر
(1199-1232هـ/1784-1817م) (تصوير الباحث – تنشر لأول مرة)

Jean Louis Burckhardt
* 24.11.1784 in Lausanne
+ 15.10.1817 in Cairo
Jean Louis Burckhardt studied Arabic and the Islam and travelled as
Sheikh Ibrahim all through the Middle East. In 1812 he discovered the
forgotten city of Petra. In 1814 he travelled through Nubia and redis-
covered the temple of Abu Simbel. We remember our fellow citizen
with great respect for his courage and his contribution to understand
the oriental religion, history and
Hans W. Wiesner, Windrose Reisen, Switzerland

الحواشي

[1]- المقريزي (تقي الدين أبى العباس أحمد بن على ، ت 845هـ/1441م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،تحقيق محمد زينهم ومديحه الشرقاوي ، 3 أجزاء، مكتبة مدبولى، القاهرة ،1998م ، ج2 ، ص 409؛ أحمد تيمور باشا :التذكرة التيمورية (معجم الفوائد ونوادر المسائل) ،تحقيق :محمد شوقي أمين ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،1953م ، ص 95-99. وقد حدد الأستاذ / محمد رمزي مكان مقابر الصوفية اليوم بأنها جبانة باب النصر الحالية ؛ فتحى حافظ الحديدى : دراسات فى مدينة القاهرة (منطقة قسمى الجمالية ومنشأة ناصر بين الماضى والحاضر)، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، 1982، ص 170.

[2]- السخاوى(نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عمر الحنفي ، ت887هـ/1482م): تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، تعليق / محمود ربيع وحسن قاسم ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2014، ص 52 .

[3]- عرفه عبده على : الأهرام العربي ، رحالة أوربيون في الجزيرة العربية :بركهارت ذو اللحية يفتح كنوز الشرق ، 2014 .

[4]- خير الدين الزركلى ، ت 1396هـ/1976م :الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، الطبعة الخامسة عشرة ، 8 أجزاء ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 2002 ، ج8 ، ص 264 .

[5]- نور الدين السخاوى : تحفة الأحباب ، ص 53؛ الزر كلى :الإعلام ، ج8 ، ص 264 .

[6]- نور الدين السخاوى :تحفة الأحباب ، ص 53.

[7]-ينشر لأول مرة .

[8]-ينشر لأول مرة .

[9]- سورة البقرة ، آية (255).

(10)- ثروت فتحى الأزهرى :الكتابات التذكارية على عمائر القاهرة الإسلامية بشارع الصليبة وكيفية توظيفها فى حقل الإرشاد السياحى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية السياحة والفنادق ، جامعة المنيا ، 2013 .

(11)- شعبان سمير عبد الرازق :النقوش الكتابية التذكارية بالعمائر القبطية والإسلامية بمحافظة المنيا ، دراسة أثرية فنية ، ماجستير غير منشور ، كلية السياحة والفنادق ، جامعة المنيا ، 2013.

(12)- حسين محمد أحمد عثمان :الكتابات التذكارية على عمائر القاهرة الإسلامية بشارع المعز لدين الله وكيفية توظيفها فى حقل الإرشاد السياحى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية السياحة والفنادق ، جامعة المنيا ، 2014 .

(13)- مصطفى بركات محسن :النقوش الكتابية على عمائر مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر ، دراسة أثرية فنية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، 1991.